

من ماء زمزم

كتبت في أيام موسم الحج في عام ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



د. عودة أبو عودة (*) - الأردن

والناس من كل فجٍ في ذرى الحرم
وأنتما في فؤادي أرفعُ القمم
يا صاحبي أُملي، يا صاحبي أُملي
وكعبةُ الله تدعو الخلق من أُمم
«ما بين مستلِم منهم وملتزم»
واحرّ قلباه بين الوجد والندم
عليّ أَسِنَّةُ للعُربِ والعجم
من آيه اختلافُ اللون والكلم
تَرَدَّدَ القولُ فيها مِنْ فَمٍ لفم
فَوَحْدَهُ (اللهُ) رَبُّ العَرْشِ والنَّسَم
والآخِرُ (اللهُ) عهداً غير مُخْتَم
وليس سِرُّهُمُ عنه بمنكُم
«مزجتَ دمعاً جرى من مقلّةِ بدم»
تسيل أُمُوجُهُم كالعارضِ العَرم
أرواحُهُم أَمَلا بالعفو والرّفم
ومَنْ يحاسب كل الخلق والأُمم
أناسُ الخلقِ فاهناً ثمّ والتزم
وطُفَ بكعبة رب الخلق واستلم

ماذا وقوفكما في البان والعلم
يا صاحبي، واني وامقٍ دَنِفُ
وَدِدْتُ لو أنتما في السّفَرِ في كَنَفِي
نادى المؤذّن في الحجاج فاجتمعوا
يطوّفون وعينُ الله تَرَقِّبُهُم
يَدْعُونَ في أمل، ييكون في وَجَلِ
أصغيتُ أفهمُ شيئاً لكن التبت
كلُّ يُسَبِّحُ: ألوانٌ وأدعيةُ
(اللهُ) (اللهُ) تملو كلّ دَعْوَتَهُم
اللهُ ناداهمُ واللهُ جمَعَهُم
الأوّلُ (اللهُ)، عهداً غير مبتدأ
الله يعلمُ ماذا يهتفون به
لو اطلعت على أسرار أنفُسَهُم
جاءوا... وطافوا... بأفواج تموج بهم
هديرُ أصواتهم ذِكْرٌ تقيضُ به
مَنْ ذا يراجعُ أفعالاَ لهم سبقت
كفى بربك يُحصي كلّ ما فعلت
قل حسبي الله، والزّم دَرَبَ طاعته

سَقِيَا زَمْزَمَ
الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

(*) جامعة العلوم الإسلامية العالمية

أُمُّ الْقُرَى مَكَّةَ، وَاللَّهُ حَرَّمَهَا
(ما حولها) دَوْرَانُ الْكَوْنِ مُنْتَظِمًا
ماذا الطواف؟ وما الأسرارُ كامنة؟
الطائفون على مَرِّ الدُّهُورِ وَهُمْ
والسابقون مع الأبراج في فَلَكٍ
ما سِرُّ كَوْنٍ يطوف الناسُ كعبتهُ
هل (طهراييتي) المقصود، قد فصلت
وانظر إلى (الباء) في بيتي وما حملت
خُذْنِي لِبَيْتِكَ طَوَافًا وَمَعْتَكِفًا
قِفْ فِي الْمَقَامِ وَصِلِ الرُّكْعَتَيْنِ وَقُمْ
إِذْ يَرْفَعُ الْبَيْتَ مِنْ أَدْنَى قَوَاعِدِهِ
مِنْ مَاءٍ زَمَزَمَ سَمَّ اللَّهُ مَذْكَرًا
كَانَتْ تُهْرُولُ بَيْنَ الصَّخْرَتَيْنِ عَسَى
حَبَا لِيَتَّبِعَهَا إِذْ مَلَّ غَيْبَتَهَا
تَفَحَّصَتْ قَدَمَاهُ الْأَرْضَ مَرْتَعَشًا
عَادَتْ فَاِذْ جَرَيَانُ الْمَاءِ يَغْمُرُهُ
فَالنَّاسُ يَسْعَوْنَ تَخْلِيدًا لَذِكْرِهِمَا
يَسْعَوْنَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، انْطَلَقُوا
ثُمَّ انْتَهَوْا إِلَى عَرَفَاتِ اللَّهِ يَمْلَأُهِمْ
يَوْمَ عَلَى عَرَفَاتِ الْخَيْرِ كَانَ لَهُمْ
جَاءَ الْحَجَّاجُ إِلَيْهِ يَوْمَ وَقَفْتَهُمْ

فَكُلُّ أَيَّامِهَا كَالْأَشْهُرِ الْحُرُمِ
إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ مِنْ عَلٍ تَهُمِ
عَرَفْتَ قَدْرَكَ أَمْ مَا زَلَّتْ عَنْهُ عَمِي؟
يَسْمَعُونَ دُعَاءَ الْكَوْنِ وَالنَّسَمِ
والعاكفون بحب الله في الْخِيَمِ
هل هَاهُنَا سِرٌّ بَدَأَ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ
بِحِكْمَةِ اللَّهِ بَيْنَ النُّورِ وَالظُّلَمِ
مِنْ لَمَسَةِ الْحُبِّ أَوْ مِنْ هِمْسَةِ الرَّحْمِ
وَاجْعَلْ بِذِكْرِكَ قَلْبِي نَاطِقًا وَفِي
مَقَامِ جَدِّكَ إِبْرَاهِيمَ مِنْ قَدَمِ
وَابْنُهُ مَعَهُ، أَكْرَمَ بِمُسْتَهْتَمِ
هُمْ الَّتِي فَتَتْ تَسْعَى عَلَى قَدَمِ
تَنَالُ قَطْرَةَ مَاءٍ لِلصَّغِيرِ ظَمِي
وَصَاحَ فِي أَدَمَعِ حَرَى مِنَ السَّقَمِ
فَانْشَقَّتِ الْأَرْضُ عَنْ فَيْضٍ مِنَ السَّجَمِ
يَا عَيْنُ زِمِّي وَزِمِّي ثُمَّ وَانْتَظِمِي
وَزَمَزَمَ فِيهِ سِرٌّ غَيْرُ مُنْجَسِمِ
بَحْرًا مِنَ الْخَلْقِ أَمْ سَيْلًا مِنَ الدِّيمِ
فَيْضٌ مِنَ الْأَمَلِ الْمَوْعُودِ بِالْكَرَمِ
فَضَّلَ مِنَ اللَّهِ فِي عَفْوٍ عَنِ الْوَصَمِ
فَاضَتْ دُمُوعُهُمْ مِنْ حَسْرَةِ النَّدَمِ



وأخلصوا فيه للرحمن دَعَوَتَهُمْ
يَوْمَ تَشَابَهَ فِيهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ
جاء الملوك بلا ركب ولا حَرَسٍ
كُلُّ سِوَا سِيسِيَّةٍ فِي مَوْقِفٍ جَلِيلٍ
قال اشهدوا يا عبادي قد غفرت لهم
عادت صحائفهم بيضاء صافيةً
وفي المساء أفاضوا نحو مزدلفٍ
وفي صباحٍ مِنِّي شُدَّتْ رِوَا حِلُّهُمْ
ضحوا وفاضوا إلى البيت العتيق ضُحَى
أيامٍ أَكَلٍ وَشَرَبٍ فِي صَعِيدٍ مِنِّي
ماذا عليهم إذا طابت نفوسهم
ها هم يَمُوجُونَ فِي شَتَى جَمُوعِهِمْ
منهم تعجل في يومين واختتموا
وكلهم عاد للبيت الحرام لكي
يدعونني لوداع البيت محتسباً
كفكف دموعك إن الركب مُرْتَحِلٍ
أنصار دين رسول الله ما فُتُّوا
صَلَّيْتُ أَتْلُو (ألم نشرح) بِرَوْضَتِهِ
وقفتُ أرنو إلى نور المقام وفي
لدي يا سيدي عهد أبْلَغُهُ
(أفرته عني الجوى) من ذُوبٍ وَجَدَهُمْ
فغصصهم فيه بالغفران والنعم
فلا تمايز في الأحساب والحشم
لا الثوبُ خَزٌّ وَلَا الْيَاقُوتُ فِي الْعِصَمِ
والجمع في حضرة الرحمن في سَدَمٍ
فهم ضيو في في (بيتي) وفي حرمي
عهد عليك قَوْفَ العهد واعتصم
كأنما ازدلفوا للخير من أمم
نحو الجمار لرمي الشر والظلم
واستمسكوا بتمام العهد والذمم
عنوانها نسمات الود والرحم
وبان سعدهم في حسن مُبْتَسَمٍ
كأنهم صورة من محشر الأمم
ومنهم زاد يوماً دونما أثم
يودعوا البيت بين الشوق والألم
فالقلب في ألم والعين في سَجَمٍ
إلى المدينة مهدي السادة القُذَمِ
يُمسكون بعهد الصادق العلم
فاليسر في نورها يَشْفِي من السقم
جوانح القلب تسري سورة القلم
ما زلت أحمله من صاحبي قلبي
عشق من القلب لا سطر من الكلم

يا سيدي يا رسول الله معذرة
 حادت عن السنة الغراء أمتنا
 يا سيدي ليتنا ندعو بسنتكم
 تركت فينا هدى في الدين ما فتئت
 لكننا لم نكن أهلاً لقامته
 حادت منا هجنا عن نور سنتنا
 استبدلوا الزيف والأوهام في بكم
 أجل قدرك أن أفضي بسيرتهم
 إن أخطؤوا فلعمرو الله قد لجؤوا
 لو أنهم لزموا منهاج خالقهم
 فتحن قوم لنا في إرثنا شمم
 وسوف يا سيدي نسمو بطاقتنا
 عسى يكون لنا في عمرنا أمل
 لكي نصلي في (الأقصى) فإن لنا
 شدوا الرجال لأولى القبلتين فقد
 ما كان نصرهم لولا تخلفنا
 عز العروبة باب ليس يفتحه
 سلاحهم نصرهم لله أوله
 إن تنصروا الله ينصركم فإن به
 فإروا إلى الله، إني ناصح لكم

إن كان في قولنا شيء من العثم
 حتى غدونا لقي في آخر الأمم
 فيحفظ العهد مأموم بمؤتمم
 أنواره تزدهي بالعز والشمم
 فقد أصبنا من الآثام بالبشم
 فالقوم في شغل بالباه والغلم
 بالعلم والفكر والتجريب والحكم
 لولا يقيني بفضل الفتية الحسم
 أعفاهم من كبير الذنب واللمم
 لصار واحدكم كالفراس البهم
 فلا نطيق حياة الذل والوخم
 والله يقبل منا توبة الندم
 بأن نشد رجال الخيل واللجم
 أن نصنع المجد مع فتياننا الحسم
 عانت طويلاً بمكر الأمة القزم
 فالنصر نصنع بالعلم والقدم
 إلا الأماجد من أبنائها القثم
 ووحدة الأمة الشماء بالقسم
 عند الجهاد ثبات القلب والقدم
 فوحده الله رب العرش والقلم